

## علاقة الدين بين العرب والصين بقلم بدر الدين الصيني

معنرات الصين الغربية

كان للصينيين دين قبل وصول الديانات الأجنبية إليهم مبني على الأوهام والخرافات ، كما كان الشأن في كل أمة من الأمم في الأزمان النابرة ؛ واتخذوا الأجرام السماوية والظواهر الطبيعية معبودات لهم غير معتقدين بخالق جبار يخضع لتصرفه كل شيء من الموجودات والكائنات ، فكثرت فيهم الآلهة وتنوعت طرق عباداتهم (١)

فالحكام الذين ظهروا في أرض الصين بعد زمن الخرافات وطلوع فجر التاريخ الصحيح ، في شخصيات « لوتس Laotze » و « كانفوشيوس Confucius » و « مونشيوس Moncius » و « ما تي تس Maitze » ، لم يأت واحد منهم بنظام ديني يسير عليه الصينيون كافة . إلا أنهم جميعاً يمتدنون بما وراء الطبيعة ، فشأن « الطريقة » عند « لوتس » هي شيء ليس بصورة ولا صوت يبقى دائماً ، لا يفنى أبداً ، ووجوده قبل كل كائن مصدر لجميع الموجودات وروح تحيا بها . فهذا التعريف لطريقة « لوتس » يوافق ما نعتقد بصفات الله . وأما « السماء » في عقائد كانفوشيوس فهو صاحب السلطة الأخير الذي إذا أغاظه الإنسان بارتكاب الكبائر فلا سبيل له إلى النجاة ، فلذلك يقول : « أين الدعاء من إغاظه السماء ؟ »

لا فرق بين « سماء » كانفوشيوس و « سماء » مونشيوس لأن الثاني تلميذ الأول ، فهو يحذو حذوه في التفكير والبحث الفلسفي ؛ وأما « ما تي تس » فدينه دين المحبة والمواخاة ، يجب الصلاح والسلام ويكره الفساد والقتال ؛ ومبادئه حبه تشابه مبادئ حب الدين المسيحي ، وأصول أخوته تماثل أصول أخوة الإسلام ؛ لكنه لم يضع نظاماً لا يظهر هذا الحب وهذه الأخوة

(١) إلهيات الصين ص ١٢

فالكف عن القتال والنهب والامتناع عن السرقة والحمد في اعتقاده من دواعي التحاب ومقويات التأخى ، وغير ذلك هذه الديانات كلها تخالف الإسلام في مسئلة الحشر والنشر والحياة بعد الموت من جهة الاعتقاد ، وفي مظاهر العبادات من حيث العمل — لأن أهلها لا يعتقدون بالحشر والنشر ، ولم يأتوا بنظام خاص للعبادات — لعل هذا هو السر الذي يبق أهل الصين في معتقداتهم القديمة مع أن أغلبهم دانوا بالديانة البوذية التي أصلها من الهند ، وهذا الدين لم يحدث في اعتقاداتهم شيئاً من التغيير ، مع أن الديانة البوذية قد أثرت في أدبيات الصين وفلسفتها تأثيراً ينياً . فرجل الدين من أهل الصين يدين بمجموع عقائد ومبادئ هذه الديانات المذكورة ، فذلك تروهم يتعبدون على مبادئ كانفوشيوس حيناً وعلى « طريقة لوتس » حيناً آخر ، مع أنهم يتعصبون للبوذية إن دانوا بها ، أو للمسيحية إن كانوا مسيحيين . هكذا شأنهم في أمر الدين حتى الآن

### دخول الديانات الأجنبية إلى الصين

معتقدات الصين القديمة التي ذكرتها آنفاً ، بطبيعتها ومبادئها لا تناف الديانات الأجنبية التي كانت سائدة في آسيا أوسطها وأدناها ، فسهل على البوذية أن تتسرب إلى الصين عن طريق تركستان في القرن الثاني للميلاد ، وامترجت بمعتقدات الصين ، فصارت الآن ديناً شبه دين الدولة في الشرق الأقصى ؛ مع أن مذهب كانفوشيوس أو « طريقة لوتس » أجدر بهذا الاحترام ولها نفوذ في كل ناحية من نواحي حياة الشعب الصيني بظل باقياً حتى يقبله أثر الإسلام إن قدر الله للإسلام نهضة جديدة في تلك الديار في المستقبل

من الديانات الأجنبية التي تسربت إلى الصين قبل الإسلام المانوية والمجوسية والنسطورية ؛ فدخول المانوية الصين كان في القرن السابع للميلاد جاء إليها من تركستان لأن أغلب أهلها قد اعتنقوا هذا الدين قبل ظهور الإسلام ، فانتشر رويداً رويداً إلى شمال الصين وغربها حتى أسس المابدين لمتنقيه في الشطر الأول من القرن الثامن للميلاد في بعض المدن الشهيرة ، ولهم هياكل كثيرة في ولايات « هانان Hanan » و « شانسي Shansi » وكثرة أصحاب هذا الدين يمكن أن نعرفها من الواقعة التي وقعت

وكان لهذه الديانة قدم ثابتة في نفوس الصينيين ، ولعلها تؤثر في حياتهم إلى حد ما إذا طال أمدها في الصين ، لكن مشيئة الله لم ترد انتشار هذه الديانة في الشرق الأقصى فطرد مبشروها ، وهدمت معابدها في أواخر القرن التاسع للميلاد ، وحكاية الراهب النجراتي أيضاً تشير إلى ذلك

#### الاعتراض التاريخي فيما يتعلق برهول الإسلام إلى الصين

لقد أطلت في ذكر هذه الديانات الأجنبية مع أن محور بحثي في هذا الموضوع هو دخول الإسلام ، وإني مضطر إلى أن أفعل هذا لأن الأغلاط التاريخية التي تتعلق بدخول الإسلام لا يمكن أن تستدرك إلا بمعرفة تواريخ هذه الديانات ودخولها إلى الصين . لقد قيل ان الإسلام قد وصل إلى الصين في عهد « كأي وانغ - Kai - Wang » من « أسرة هوي - Hui Dynasty » ومعنى ذلك أن دخول الإسلام الصين قد وقع بين سنتي ٥٨٩ و ٦٠٥ م ، وهذا مستحيل لأن محمداً رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) لم يبعث بالرسالة إلى العالم كافة إلا سنة ٦١٠ م

ومن رأي أن القائل بهذا القول قد أخطأ في هذه النقطة بحسب المجوسية التي دخلت الصين في أواخر القرن السادس للميلاد دين الإسلام الذي دعا إليه صاحب الرسالة بعد نبوته ، مغالطاً في دليله إذ قال إنها ديانة جاءت من « الغرب » بالعين<sup>(١)</sup> ففهم من « الغرب » « العرب » ووقع في خطأ فاضح دون أن يشعر أن الإسلام لم يكن له وجود في جزيرة العرب قبل سنة ٦١٠ من تاريخ الميلاد . فظهر من هذا الاستقراء أن الدين الذي وصل إلى الصين في عهد « كأي وانغ » كان في الحقيقة المجوسية لا الإسلام . وعندنا شهادة تقليدية في الكتب الصينية غير تلك الدلائل العقلية التي أشرت إليها آنفاً ، ونعرف أن بعض المجوسيين قد وصلوا إلى « تشانغ آن » في أول عهد « كأي وانغ » وأنشأوا المابد وكانوا يفتنون في صلواتهم فيها . ومن أمثالهم الدينية نوع يقال له « موفوش »<sup>(٢)</sup> يوجد ذكره في « ديوان أغاني الصين » وفسر صاحب الديوان هذه الكلمة بأنها نوع من الأغاني الدينية

في عهد « ووشونك » ( ٨٤١ - ٨٤٦ م ) . وكان هذا الامبراطور منبذاً « بطريفة لوتس » وتمعباً لها ، فاضطهد أهل الديانات الأخرى وهدم كثيراً من معابد المانوية والمجوسية والنسطورية . فقتل في عاصمة الصين وحدها ٧٢ نسمة من راهبات المانوية ، ففنت هذه الديانة من الصين بمدن<sup>(٣)</sup>

أما المجوسية ، كما أشار إليها سليمان السيرافي والسعودي وغيرهم من كتاب العرب ، فدخلت الصين قبل الإسلام على الأقل بقرن ، ولكنها لم تنتشر إلا في دائرة محدودة . فلما فتح العرب إيران وقضوا على دولة كسرى فرّ يزدجرد إلى الشرق ولجأ إلى عاصمة الصين ، فأنشأ فيها معبداً للمجوسيين ، وكان معه جماعة من علماء المجوسية فبشوا دعائهم في شمال الصين ، لكن هذه الديانة غير مقبولة عند الصينيين . فالتدين دخلوا فيها قبلون جداً . وقد بحيث آثارها في سنة ٨٤٦ م كما أسلفنا

وأما الديانة النسطورية فوصلت إلى الصين في سنة ٦٣٥ م ، وذلك بنا، على ما ثبت في كتابة تاريخية<sup>(٤)</sup> وجدت بمدينة تشانغ أن Chang-An وأول من جاء إلى الصين للدعاية إلى النسطورية كان رجلاً يدعى أولون Otopen<sup>(٥)</sup> ويظهر من تاريخ الصين أنه استوطن تشانغ ، وأنه بنى معبداً للنسطوريين يسكن فيه واحد وعشرون راهباً ؛ وكان أولون رئيسهم ؛ ثم انتشرت هذه الديانة في بعض العواصم وأنشأوا معابدها فيها ، فنقشوا أعمالهم في الألواح الحجرية ونصبوها في المعابد تكبيراً وتخليداً ، فالعبارات التي نقشت في هذه الألواح مدونة الآن في تاريخ الصين العام<sup>(٦)</sup>

وبعض الكتب العربية يذكر أيضاً ذهاب النسطوريين إلى الصين . مثل ابن النديم ، فإنه روى في الفهرست أن الجائليق قد بعث ستة من علماء النساطرة إلى الصين للإرشاد والدعاية فأت منهم خمسة ورجع سادس وهو من أهل نجران إلى الروم بعد الإقامة بالصين نحو ست سنين في سنة ٣٧٧ هـ<sup>(٧)</sup>

Yung Tung Chiang ; out line of Av Chine Civilization; (١)

P. 269.

(٢) أريد بكتابة تاريخية ما تسمى Inscription بالانكليزية

Hirth : China and the Roman orient ; P. 286. (٣)

Out line of the Chinese Civilization; P. 267 (٤)

(٥) ابن النديم ص ٤٩١

(١) والمراد من « الغرب » في الكتب الصينية القديمة ما يقع في

غرب الصين إلى البحر الأبيض واستنبول

The Chinese ( Dictionary ) P. 223. ( G. Section ) (٢)